

السمات المعمارية والملاح الفنية للعمارة المرينية بتلمسان - دراسة أثرية

Architectural features and artistic features of the Merinid architecture of Tlemcen.-Archaeological studyفوزية سعاد بوجلابة^{*1}، فايزة براهيمية²¹ جامعة تلمسان، (الجزائر) مخبر التراث الأثري وتثمينه، tihert19@gmail.com² جامعة تلمسان، (الجزائر) مخبر التراث الأثري وتثمينه، khawlaaoun@gmail.com

تاريخ النشر: 2022/12/14

تاريخ القبول: 2022/10/22

تاريخ الاستلام: 2022/02/22

ملخص:

تقع تلمسان في الغرب الجزائري، وهي تطل على البحر الأبيض المتوسط ومنطقة تجارية تربط بين أهم الطرق التجارية، لقد توالى على حكم مدينة تلمسان بداية من الفتح الإسلامي عدة دويلات أهمها الدولة المرينية التي عرفت صراعات طويلة مع الدولة الزيانية، وهذا ما تشهده عليه العمائر التي شيّدت أثناء سيطرة المرينيين على تلمسان. تهدف هذه الدراسة إلى التعرف على ملامح الفن المريني من خلال المعالم الأثرية التي تعود إلى هذه الفترة، فقد خلف المرينيون إرثا معماريا تميز بالأصالة والجمال والبساطة في نفس الوقت. كما تميز بتأثره بالفنون الأندلسية ولا سيما فيما يخص الزخارف وتوظيف الألوان.

كلمات مفتاحية: الفترة المرينية، تلمسان، تراث معماري، مسجد سيدي الحلوي، المنصورة.

Abstract:

Tlemcen is located in western Algeria overlooking the Mediterranean Sea and a commercial area. this city connects the most important trade routes. it ruled several states, the most important of which was the Mirinide State, which experienced long conflicts with the Zianid State, as evidenced by the buildings built during the flexible rule of Tlemcen. This study aims to discover the characteristics of Mirinde art through monuments dating from this period, the Marinids left an architectural heritage characterized by originality, beauty and simplicity at the same time. He was also influenced by Andalusian art, especially in terms of decorations and the use of colors.

Keywords : The Mirinide state ; Tlemcen ; Architectural Heritage ; Mosque Sidi Elhalwi ; Mansourah.

* المؤلف المراسل: فوزية سعاد بوجلابة ، الإيميل : tihert19@gmail.com

1. مقدمة :

منذ عصر الخلفاء الراشدين اتجهت أنظار المسلمين الفاتحين نحو منطقة بلاد المغرب، وفتحوها عدة أقاليم وأسسوا عدة مراكز لهم، ولاسيما في المناطق الساحلية، لما تتمتع به من موقع استراتيجي سياسيا وتجاريا وجغرافيا، ومن بين هذه الأقاليم إقليم تلمسان الذي كان مسرحا لأحداث تاريخية متعددة ومنجزات حضارية هامة.

إنّ لمدينة تلمسان ماضيا تاريخيا وحضاريا هاما اكتسبته من خلال موقعها الجغرافي الإستراتيجي الهام، كما أنّها كانت عاصمة المغرب الأوسط لمدة ثلاثة قرون حيث ازدهر خلالها الفكر وأخصبت الحضارة وتطوّر العمران واستهوت العديد من رجالات الفكر والسياسة والثقافة، ممّا جعلها في الأخير مدينة الفن والثقافة والتاريخ¹. وقد عرفت تلمسان توالي عدت دويلات على حكم أراضيها بداية من الفتح الإسلامي للمنطقة وتأسيسها على يد قبيلة مغراوة الزناتية، وذلك لموقعها الجغرافي المتميز كما أنّها كانت أحد أبرز المراكز التجارية لقربها من ساحل البحر الأبيض المتوسط وموقعها في ملتقى الطرق التجارية الرئيسية الرابطة بين الشرق والغرب من ناحية، و بين الشمال والجنوب من ناحية أخرى، فكانت بذلك عاصمة لمملكة بني عبد الواد خلال القرن الثالث عشر ميلادي، وسيطرت الدولة المرينية على المنطقة لمدة من الزمن فذاع صيتها وكثر عمرانها وأصبحت حاضرة من حواضر المغرب الإسلامي آنذاك.

خلف التواجد المريني بالمنطقة أثارا مادية متنوعة لا تزال تشهد على تطور معماري هام في تلك الحقبة على سبيل المثال ولا الحصر مسجد سيدي بومدين ومدينة المنصورة وغير ذلك، ما جعلنا نثير الإشكالية التالية كيف اتسمت الأوضاع قبل وخلال التواجد المريني في المنطقة؟ وما هي السمات الفنية والمعمارية للشواهد المعمارية المشيدة في الفترة المرينية؟

للإجابة على الإشكالية المطروحة اعتمدت على مجموعة من المصادر والمراجع التي لها علاقة مباشرة بالموضوع مثل محمد بن أحمد أبي راس الناصر، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار أحمد بن يوسف القرماني، أخبار الدول وأثار الأول في التاريخ، أبي عبيد الله البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، محمد بن عمرو الطمار، تلمسان عبر العصور... وغير ذلك كما اعتمدت على المنهج التاريخي لسرد المعطيات الجغرافية والتاريخية للمنطقة. والمنهج الوصفي من أجل التعريف بالمعالم الأثرية المختارة ونقلها بالصورة التي هي عليها من خلال الوصف الأدبي والتصوير الفتوغرافي.

2-أصل تسمية تلمسان

تعد منطقة تلمسان وما يجاورها موطن القبائل الزناتية ذات الفروع المتعددة، وثاني القبائل القوية بالمغرب العربي بعد صنهاجة وتلمها كتامة.

يتألف لفظ تلمسان من كلمتين بربريتين هما: (تلم) ومعناها تجمع، و(سان) ومعناها اثنان، أي (تجمع اثنان) الصحراء والتل، بمعنى أنها تجمع بين طبيعة التل والصحراء، لوقوعها في مكان ملائم لذلك²، أما بفتح التاء وضم اللام تأتي بمعنى (تلم) تجمع و(سان) إنسان مع حذف الألف والنون اختصاراً³.

كما أطلق عليها القدامى تسمية " تيسيبي " ⁴، أما البربر فأطلقوا عليها بلفظهم اسم "أقادير" بمعنى "جدار قديم ومدينة محصنة"⁵.

وتلمسان كلمة بربرية معناها الينابيع "les poches d'eau" ⁶، وأصلها ثلميس جمع ثلمت بمعنى عين أو ينبوع ماء الذي تحيط به الأشجار، وهذا المعنى يطابق ما هو موجود في مدينة تلمسان وضواحيها من عيون متعددة⁷.

3- وصف مدينة تلمسان قبل الفترة المرينية:

مدينة تلمسان مدينة عظيمة قديمة تضم آثارا كثيرة، مما يؤكد على أنها كانت دار مملكة لأمم سابقة⁸، ولها أسواق ومساجد ومسجد الجامع وأشجار وأنهار وعلما الطواحين، وموسطة قبائل البربر ومقصد للتجار...⁹، والحميري يصف تلمسان قائلا: "...وكانت تلمسان دار مملكة زناتة وحولها قبائل كثيرة من زناتة وغيرهم من البربر، وهي كثيرة الخصب والرخاء كثيرة الخيرات والنعم، ولها قرى كثيرة وعمائر متصلة...ولها خمسة أبواب ثلاثة منها في القبلة: باب الحمام وباب وهيب وباب الخوخة، وفي الشرق باب عقبة وفي الغرب باب أبي قره، وفيها بقية من النصراني ولهم بها كنيسة معمورة"¹⁰، ويقول عليها مارمول كريخال ما يأتي: " قد نظمت ساحاتها وأزقتها على نسق جميل جدا، ودكاكين صناعها وتجارها مرتبة على غرار ما هو بفاس، ومساجدها مجهزة بجميع ما يلزم، علاوة على خمس مدارس رئيسية مزخرفة من إنشاء بعض ملوك زناتة...كما توجد بالمدينة عدة حمامات، لكنها غير مجهزة بوسائل الراحة مثلما هي حمامات فاس ولا بنفس القدر بالماء، أضف إلى هذا فنادق عديدة على طراز البلاد"¹¹.

وقد وصفها أبو الفدا وبالغ في ذلك، فذكر: "...ومدينة تلمسان ثلاثة عشر بابا..."¹²، أما لسان الدين بن الخطيب فقال: " تلمسان مدينة بين الصحراء والريف ووضعت في موضع شريف كأنها ملك على رأسه تاجه، وحوله من الدوحات حشمه وأعلاجه، عبادها يدها، وكهفها كفها، وزينتها زينها، وعينها أعينها، هواها المقصور بها فريد، وهواؤها الممدود صحيح عتيد، وماؤها برود صريد حجبها أيدي القدرة عن الجنود، فلا نحول بها وشحوب، خزانة زرع ومرج ضرع، فواكهها عديدة الأنواع، ومتاجرها فريدة الانتفاع، وبرانسها رفاق رفاع"¹³، ولها سور متقن الوثاقه، وهي مدينتان في واحدة"¹⁴.

4- تلمسان قبل الفترة المرينية وخلال الحكم الزياني:

دخل بنو عبد الواد المغرب الأوسط نتيجة ضعف صنهاجة ومصمودة وفراغ البلاد ممن يحميها من الغزاة، وكان بنو حفص في إفريقية قد انتهزوا الفرصة وبسطوا سلطانهم على شرقي المغرب الأوسط، واحتلوا بجاية وإقليم الزاب، أما بقية المغرب الأوسط -من وهران عند مصب نهر الشلف إلى مجرى نهر الملوية وقاعدته تلمسان- فقط بقي منطقة فراغ،¹⁵ استقرت وامتدت فيه مجموعة قبائل بني عبد الواد أو بني زيان¹⁶ ، نسبة إلى مؤسس دولتهم يغمراسن بن زيان، الذي استولى سنة 635هـ على دولة الموحيدين ، ولكن مع توالي الأيام¹⁷ ضعف ملك الموحيدين ولحقه الهرم، وكان يغمراسن بن زيان مع صراع أحيانا وهدنة أحيانا أخرى مع ملوك الموحيدين بمراكش وتونس، ولما مات خلفه ابنه عثمان¹⁸ ، وقد حاصره ثاني ملوك بني مرين يوسف بن يعقوب الذي بنى مدينة أخرى شرق مدينة تلمسان، ودام الحصار ثمان سنوات¹⁹ ، ويرجع سبب هذا الحصار أن الأمير عامر بن أبي يعقوب يوسف المريني -الذي كان واليا على مراكش- خرج على أبيه بمساعدة عامله بن عطوة، فخرج إليه أبوه في جيش عظيم، ولما انهزم فر الأمير مع مساعده إلى تلمسان سنة 688هـ/1289م، وطلب حماية السلطان أبو سعيد عثمان بن يغمراسن، إلا أن أبو يعقوب يوسف المريني طلب تسليمهما، فلما رفض أبي سعيد عثمان عزم أبو يعقوب يوسف غزو تلمسان وحاصره وخرب القرى²⁰ ، وساءت الأحوال واستفحل الغلاء في البلاد إلى أن بلغ ثمن كيل من القمح ثلاثين مثقالا ورطل اللحم ربع مثقال.....، مما أدى إلى ثورة الشعب ولاسيما بعد خطاب ملكهم، فخرج الناس مع ملكهم في صباح مقتل يوسف المريني، ولما فشى هذا الخبر الأخير، زادت عزيمة الشعب وقوته وأحرزوا انتصارا على عدوهم، وقتلوا عددا كبيرا منهم، وغنموا أقواتا وكمية وافرة من الماشية اضطر العدو إلى تركها²¹ .

وبعد وفاة السلطان أبي زيان بايع بنو عبد الواد أخاه أبا موسى بن أبي سعيد، لكن من المؤسف له أن الأمير أبا تاشفين ثار على والده عام 718هـ، وتقلد الحكم مكانه، ومن منشأته العمرانية نذكر المدرسة التاشفينية التي كانت جنوب الجامع الكبير، والصهرج الكبير.

كما قام أبو تاشفين بعدة فتوحات من ذلك فتح بجاية ثم قسنطينة، ثم انتهى به المطاف إلى تونس عاصمة الحفصيين وفتحها، لكن الحفصيين طلبوا من البلاط المريني التدخل والوساطة لهم عند أبي تاشفين، لكن هذا الأخير رفض وساطتهم، وهذا كان سببا لقدم بني مرين إلى تلمسان²² بعد أربعين عام، حيث جاء أبو الحسن رابع ملوك المرينيين من مدينة فاس وأعاد بناء مدينة المنصورة على بعد ميلين غربي مدينة تلمسان، وحاصر المنطقة حيث دام الحصار ثلاثين شهرا، ودخل تلمسان عنوة ونهبها، ثم حمل ملكها أسيرا إلى فاس وضرب عنقه، وترك ابنه أبا عنان خليفة له على مملكة تلمسان، فكانت هذه ثانية كارثة عاشتها مدينة تلمسان²³ ، وهكذا دام ملك آل زيان بتلمسان 259 سنة وقيل ثلاثمائة غير تسع سنين²⁴ .

5-الفترة المرينية:

يمثل بنو مرين قسما قويا له عراقته وسطوته بين قبائل زناتة، فهم أعلى قبائل زناتة حسبا وأشرفها وأغزرها كرما وأحسنها شهما وأرعدتها تماما وأرجحها كلاما وأشدها في الحروب بأسا وإقداما²⁵.

ومأل الملك إليهم ، أنهم كانوا ببلادهم يحكمهم محمد بن ورزين، ثم قام ابنه حمامة مقامه، ثم عسكر، ثم ابنه المخضب²⁶ ، كان المخضب بن عسكر في بلاد الزاب يقاتل زناتة، ولم يبق وقتا طويلا حتى وصلته الأخبار بأن عبد المؤمن بن علي بعد أن فتح تلمسان ووهران بعث بما فيها من الأموال والذخائر والسلاح إلى تينمل، فتحرك المخضب بقوة جمعها من بني مرين تقدر بخمسمائة فارس، واتجه بهذه القوة إلى الجنوب سالكا أقصر الطرق حتى يقطع الطريق على هذه الأموال، وقد تمكن من ذلك عند وادي تلاغ، ولما علم عبد المؤمن بن علي بما آل إليه شأن الأموال، بعث جيشه بقيادة أبي محمد عبد الحق بن معاذ الزناتي العبد الوادي، فالتقى الجيش بالمخضب عند فحص حسون وهزم المرينيون. وقتل المخضب، ولم يجد المرينون بعد مقتل أميرهم سوى الرجوع إلى صحرائهم²⁷ ، رجع المرينيون إلى المغرب في وقت كان المنتصر الموحدي صبيا لا يعرف شيئا، ولما دخلوا المغرب تفرقوا فيه وشنوا الغارات ولقمهم الجيش الموحدي وهزموه.

كان عبد الحق بن محيو أول ملوكهم بالمغرب²⁸ ، وكان فاضلا صالحا متباركا به، ولكن لم يستول على كرسي الخلافة في مراكش، ثم خلفه عدة ملوك إلى أن صار الملك سلطان الجهاد أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق المريني ولقبه المنصور، ففتح المغرب وقطع ملك الموحدين، ومحا أثرهم وجاز إلى الأندلس²⁹.

بقي المرينيون يسيطرون على تلمسان منذ أن احتلوها سنة 1337 إلى أن نكب أبو الحسن قرب القيروان على يد عرب بني هلال وبني سليم، فاعتنم بنو عبد الواد الفرصة وسعوا لإحياء دولتهم، فبايعوا أبا سعيد عثمان بن عبد الرحمان بن يغمراسن الذي عين أخاه أبو ثابت مسؤولا على الشؤون العسكرية، فألحق هذا الأخير هزيمة بالسلطان المريني أبي الحسن في مدينة الجزائر، وبعد مقتل أبي الحسن واجه ابنه أبو عنان الأمير أبا سعيد وكانت الغلبة فيها لبني مرين وقتل أمير تلمسان، وعادت تلمسان تحت السيطرة المرينية. ودامت 7 سنوات إلى أن تمكن أبو حمو موسى الثاني من طردهم سنة 1359³⁰.

6-أهم الآثار المعمارية المرينية بتلمسان:

شيد المرينون خلال تواجدهم في تلمسان وحصارهم لها في مرات عديدة مجموعة من المباني المتنوعة التي لا تزال قائمة ليومنا هذا من بينها نذكر مايلي:

1-6- مسجد المنصورة:

تقع مدينة المنصورة غرب تلمسان، يبلغ محيطها 4128 م، ومساحتها الإجمالية 1045200 م² 31 ، أسسها يوسف بن يعقوب المريني كمعسكر لقواته التي فرضت الحصار على مدينة تلمسان أكثر من ثماني سنوات³².

كانت المنصورة في ذلك الوقت مسورة، بها عدد من المنشآت كالحمامات، والمتنزهات، والطرق، والشوارع، والقصور، والمساجد، من بين هذه المساجد مسجد المنصورة الذي شيده السلطان أبو يعقوب يوسف المريني عام 702 هـ / 1303م، حيث تشير الكتابات التذكارية المنقوشة في محيط المدخل الرئيسي إلى أنّ السلطان أبو يعقوب يوسف المريني قد مات قبل الانتهاء من هذا البناء³³، ونصها كالتالي: "الحمد لله رب العالمين، والعافية للمتقين، أمر ببناء هذا الجامع المبارك أمير المسلمين المجاهد في سبيل رب العالمين المقدس المرحوم أبو يعقوب يوسف عبد الحق رحمه الله"³⁴.



الصورة 1 مسجد المنصورة بتلمسان

-وصف مسجد المنصورة:

تصميم المسجد عبارة عن مستطيل طوله 100 م وعرضه 60 م، به ثلاثة عشر باب، منها أربعة أبواب في الجهة الشرقية وأربعة في الجهة الغربية وبابان في القبلة، وواحد عن يمين المحراب، وواحد عن يساره، و الأبواب الثلاثة الباقية في الشمال، وواحد تحت المئذنة - هذه الخاصية جعلته يتميز عن باقي المساجد - ، واثنتان عن يمينه ويساره، ويشتمل المسجد على بيت للصلاة يتألف من تسع بلاطات وثلاثة عشر أسكوبا، و صحن مربع الشكل مساحته 900 م²، يحوي في وسطه حوض للوضوء، وتحيط به أروقة ثلاثة من جانبيه الشرقي والغربي وواحد من جانبه الجوفي³⁵.

يشبه مخطط المنصورة نوعا ما مخطط مسجد قرطبة الأول وجامع الكبير بتلمسان، وأهم خاصية كما ذكرنا الصومعة المتوسطة التي ينفث بقاعدتها المدخل الرئيسي للمسجد،

مبنية أساساً من الدبش، انهار نصفها الداخلي وبقي الآخر، يستند على دعائم ذات زوايا بارزة وضعت خلال الفترة الاستعمارية³⁶.

2-6- قصر سيدي أبي مدين:

يحتل القصر الجهة الشمالية من المجمع المعماري للعباد³⁷، وبالضبط في الجهة السفلى من المسجد³⁸، وقد بني هذا القصر في العهد أبي الحسن المريني (731-749هـ/1331-1348 م)، وكان السلطان يتخذ للراحة والانزواء بعيداً عن الناس، إلا أن هناك من يعتقد أن هذا القصر، كان مخصصاً لاستقبال الحجاج، وفريق آخر يظن أنه شيد بغرض حماية الأسرة الملكية³⁹.



الصورة 2 قصر سيدي أبي مدين بتلمسان

-الوصف:

يتكوّن القصر من ثلاث أجنحة مختلفة الأحجام لكل منها ساحة مزودة بهو مركزي.

الجنحة الأول: وهو الجنحة الأكبر، ذو مخطّط مستطيل به صهريج في الوسط، ومحاط بأربع غرف موجودة في عرض الساحة يسبقها رواق، وأما الأعمدة فمعمّدة محلاة في باطنها بثنيات أفقية، إلا أن الجدران فقدت حليتها الزخرفية.

الجنحة الثاني: هو الآخر مستطيل الشكل يحيط به ثلاث غرف بدون رواق، وإلى الجانب سلميين، أحدهما يسمح بالمرور إلى الطابق العلوي، والآخر موجود في جانب الساحة يسمح بالنزول إلى الحمامات الثلاثة المخصصة للضيوف.

الجنحة الثالث: مربع الشكل، يتألف من ساحة يحيط بها ثلاث أروقة، تنفتح عليها غرفة واحدة⁴⁰.

3-6-جامع سيدي الحلوي الشوذي:

يقع جامع سيدي الحلوي شمال شرق المدينة القديمة، بقرية سيدي سعيد، يحده من الناحية الغربية مرتفع هضبة سيدي الحلوي ذات الغطاء النباتي الكثيف والأشجار، كما يكتنف هذا المنحدر ضريح العالم الجليل سيدي أبوعبد الله الشوذي الملقب بسيدي الحلوي، ويحده من الجهة الشرقية، والجهة الشمالية، والجهة الجنوبية الشرقية تجمّعات سكنية، وأمّا من الجهة الجنوبية الغربية فيحده فضاء شاغر.

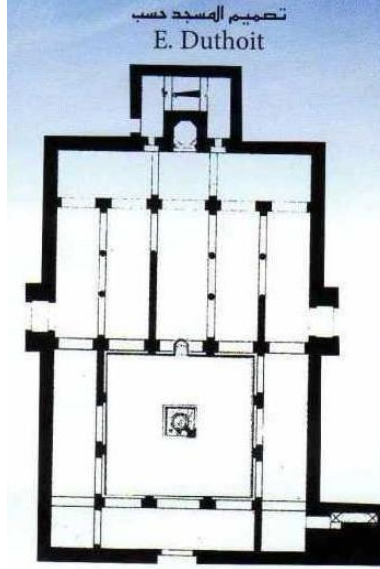
أمر بتشييد المسجد السلطان المريني أبوعنان عام 754هـ/1353م، يحمل المسجد اسم الشيخ العالم أبي عبد الله الشوذي قاضي إشبيلية سابقا، بني مسجد سيدي الحلوي شمال المدينة القديمة في سفح جبل والهضبة التي أسّست عليها مدينة تلمسان، جاء تصميم المسجد مماثلا لتصميم مسجد العباد من ناحية الشكل، والحجم، والمرافق المختلفة داخلا وخارجا، وقد شيّد هذا المعلم أبوه السلطان أبو الحسن المريني قبل 15 عاما من تأسيس مسجد سيدي الحلوي⁴¹.

-الوصف: المسجد ذو تصميم مستطيل الشكل تبلغ أبعاده 27,50 م X 17,40 م، ويتألّف من صحن كبير مرّع الشكل يبلغ عمقه 10,50 م وعرضه 10,10 م⁴²، ويتوسّطه حوض ماء للوضوء، وحوله أروقة من اليسار، واليمين، والغرب تمثل امتدادا لبيت الصلاة، محاطة بدعامات ومغطّاة بسقف خشبي⁴³، يؤدّي هذا الصحن عبر باب رئيسي يقع في محور المحراب إلى داخل بيت الصلاة الذي يتألّف من خمس بلاطات عمودية على جدار القبلة⁴⁴، وفتح على يسار المحراب باب يفضي إلى بيت وراء المحراب، وعلى اليمين يوجد باب يؤدّي إلى ساحة بها عين ماء طبيعية، وخلف هذه الساحة غربا يوجد باب المسجد الرئيسي الكبير الذي يشبه باب مسجد العباد، وعلى اليمين الباب توجد منارة المسجد المربعة الشكل والعالية، مزينة بالنقوش والرخام الملوّن⁴⁵.



صورة 3 مسجد سيدي الحلوي بتلمسان.

المخطط 1 يمثل مسجد سيدي حلوي بتلمسان نقلا عن موساوي عبد المالك، فن الزخرفة في العمارة الإسلامية بتلمسان، ط 1، دار السبيل، الجزائر، 2011، ص 216.



7- الخصائص الفنية للفن المعماري المريني

ازدهر البناء والعمارة في العهد المريني، فتنوعت المنشآت والمآثر العمرانية التي خلّفها السلاطين المرينيون في حواضر المغرب والغرب الإسلامي ومن بين أعظم الأعمال المرينية في الميدان العمراني؛ بناء مدينة المنصورة خلال حصار المرينيين للدولة الزيانية بتلمسان واتخذوها كقاعدة لهم⁴⁶.

اهتم المرينيون بتشييد المساجد والجوامع كجامع سيدي الحلوي الجديد وجامع العباد في تلمسان. والملاحظ أن مساجد المرينيين لا تتسم بالضخامة والكبر كمساجد الموحدين، وهي في الغالب صغيرة أو متوسطة الحجم، كما أنهم لم يقلدوا الموحدين في الاعتناء بالمحراب والقبلة، بل كان تركيزهم الأكبر على بلاط المحراب فهو عندهم يتميز باتساعه وكثرة زخارفه الخلابية للُبِّ وبالقُبّة التي تعلوه بجوار المحراب⁴⁷. والملفت للنظر أيضا أن جُدران المساجد المرينية قد شيدت "بالطوبياء"، وخصص "الأجر" للأبواب والأقواس والأعمدة والصوامع، كما تفنن المرينيون في تشييد مدارس خلابية كثيرة بمدينة فاس ما شاءت لهم أريحيّتهم في هذا المجال، ولقد بنيت هذه المدارس على نمط واحد حيث تتضمن صحنًا متسعًا بوسطه صهريج بداخله نافورة جميلة، أو حوض ماء تحيط به بيوت الطلبة الذين يرتادون هذه المدارس من أجل النهل من ينابيع العلم الوفير بها.⁴⁸

1-7-المحاريب المرينية:

تميزت المحاريب المرينية بالبساطة والخلو من الزخارف على غرار محراب جامع سيدي الحلوي بتلمسان، الذي يتوسط الجدار القبلي، وهو عبارة عن حنية خماسية، تعلوه قبيبة مقرنصة، ويكتنفه من الجانبان عمودان رخاميان نصف مدمجان في الجدار، زين إطار المحراب بإفريز به ثلاثة شمسيات ذات زخرفة هندسية. بسيطة. كما هو موضح في الصورة رقم 4:



الصورة 4 محراب مسجد سيدي الحلوي

2-7-أبواب المساجد:

حتى إن لأبواب المساجد المرينية خصوصية رائعة، تتمثل في النقوشات والفسيفساء والزخارف، مثل بوابة مسجد سيدي الحلوي المزينة بالزخارف وتعلوها لوحة منقوشة بخطوط أندلسية. ويحيط بها شريط زخرفي، ويسمى "إفريز" وهو مكون من بلاط فسيفسائي به أشكال فخارية هندسية مدقوقة قطعة بقطعة، ويعلوها شريط من زخارف هندسية مكتوب عليها تاريخ تشييد المسجد واسم مؤسسه، وتظهر بأشكال نجمية بثمانية رؤوس، ويسمى "الزليج"، وهو من نوع الفن الإسلامي الذي تطور في منطقة المغرب العربي والأندلس. أما بوابة مسجد سيدي بومدين فهي ذات تصميم منفرد ، زينت واجهته بألواح جبسية مزخرفة، تعلوه قبة ذات مقرنصات.

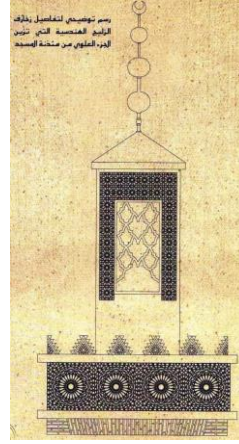
3-7- المآذن المرينية:

تميزت المآذن بالرشاقة والجمال الذي يظهر للعين المجردة حيث تزين ضلوعها "الفسيفساء"، وشبكة من الأقواس المتعانقة في ما بينها والمصنوعة من "الأجر"، وتُوجها طوق من "الزليج" الرفيع الصنع المتعدد الألوان. وبالعودة لمئذنة مسجد سيدي الحلوي و مسجد سيدي أبي مدين فنجدهما متشابهتان في التصميم و مواد البناء، إذ تتكون من مستويين: البدن يصل ارتفاعه الى حوالي 20.36 م مقسم إلى ثلاثة أجزاء عن طريق ثلاثة أطر زخرفية من الأجر، والجوسق الذي يبلغ ارتفاعه 5.32 م، متوج بقبيبة نصف كروية تغطي قاعدة مربعة الشكل

يعلوها قضيب ينتهي بتفافيح من النحاس الأصفر، ومن هنا يصل ارتفاع المئذنة الإجمالي
17.25م.



الصورة 5 مئذنة مسجد سيدي الحلوي

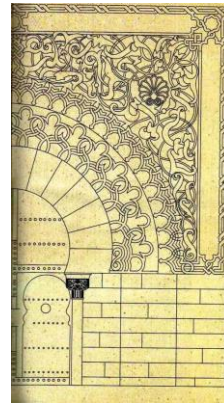


الشكل 1 رسم توضيحي لتفاصيل الزليج الذي يزين الجزء العلوي من مئذنة مسجد سيدي الحلوي.
عبد المالك موساوي، مرجع سابق، ص: 141

وبالعودة إلى مئذنة المنصورة نجدها ذات شكل مستطيل طوله 80م، يتوسطه صحن مربع الشكل طول ضلعه 30م. أما المئذنة فتقع في المدخل الرئيسي للجامع من الجهة الشمالية، وتتميز بارتفاعها الهائل الذي يقدر ب30م، وهي على شكل برج مربع تهدم جزؤها الداخلي، وترينها زخارف في قمة الجمال الفني، تشبه تلك الموجودة في مئذنة "الخيرالدا" بإشبيلية ومئذنة جامع الكتبية بمراكش وجامع حسن بالرباط⁴⁹.



الصورة 6 مئذنة مسجد المنصورة بتلمسان



الشكل 2 رسم تفصيلي للزخارف التي تزين واجهة الرئيسية للمدخل مع العمودين
الرخاميين وتاجهما. نقلا عن عبد المالك موساوي، مرجع سابق، ص: 226.

خاتمة

توالى على حكم منطقة تلمسان عدة دويلات إسلامية، أهمها الدولة المرينية فعرفت تنوعا وتقدما حضاريا واقتصاديا وفكريا، كما تخللت هذه الفترات صراعات سياسية هامة أهمها الحصار المريني لعاصمة الدولة الزيانية المتكرر.

سيطر المرينيون على تلمسان منذ أن احتلوها سنة 1337 إلى أن نكب أبو الحسن قرب القيروان على يد عرب بني هلال وبني سليم، فاغتنم بنو عبد الواد الفرصة وسعوا لإحياء دولتهم. ونتيجة لتدهور الأوضاع نهاية حكمهم استنجد أعيان تلمسان بعروج ضد أبو حمو الثالث وطلبوا نصرتهم.

اهتم بنو مرين بالفن والعمران، وخلفوا إرثا معماريا تميز بالأصالة والجمال والبساطة في نفس الوقت.

شيد المرينيون المساجد والمدارس والقصور بتلمسان على سبيل المثال لا الحصر قصر سيدي أبي مدين بالعباد، مسجد سيدي الحلوي ومدينة المنصورة بالقرب من مدينة تلمسان أثناء حصارهم لها.

تعتبر هذه النماذج المعمارية عن الفن المريني الإسلامي بالمغرب الأوسط، وما ميز هذا النوع من الفن تلك الزخارف التي تزين مساحات واسعة من المباني، سواء كانت زخارف نباتية، هندسية أو كتابية، منقوشة على الجص، على الحجارة، أو على الخشب، إلى جانب البلاطات الخزفية، أو الزليج الذي تطور بشكل مذهل خلال الحكم المريني. كما تميز بتأثره بالفنون الأندلسية ولا سيما فيما يخص طرق رسم الزخارف وتوظيف الألوان.

كما برع المرينيون في تزيين الجدران والأعمدة والأقواس بالجبس والزليج والرخام والخشب المنقوش. حيث نجد استخدام الزخرفة الجصية في تزيين البوابات الرئيسية للمساجد وكذلك الأجزاء العلوية من الجدران التي غالبا ما تكسوها زخارف جصية متنوعة.

استخدم المرينيون الزليج في تبييط الأرضيات وفي تزيين الأجزاء العلوية من المآذن، كما عرفوا بالنقش على الخشب.

ومن المواد البناء التي استخدموها إلى جانب الحجارة والرخام والخشب نجد الأجر الذي شاع استخدامه في بناء المآذن.

8- الإحالات والهوامش:

¹ - يحي بوعزيز، مدينة تلمسان عاصمة المغرب الأوسط، ط02، دار البصائر للنشر والتوزيع، 2008، ص 210.

² - يحي بوعزيز، مدينة تلمسان عاصمة المغرب الأوسط، مرجع سابق، ص: 13-14.

- ³ - محمد بن رمضان شاوش، باقة السوسان في التعريف بحضارة تلمسان- عاصمة دولة بني زيّان- ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دت، ص: 49.
- ⁴ - مارمول كريخال، إفريقيا، تر: محمد حّيّ وآخرون، ج2، دار المعرفة للنشر، الرباط، 1988، ص:298.
- ⁵ - محمد بن عمرو الطمار، تلمسان عبر العصور، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص:12.
- ⁶ - Amar Dhina, Cites Musulman d'Orient et d'occident, E.N.A.L, 1986, p :83
- ⁷ -محمد بن رمضان شاوش، مرجع سابق، ص:49.
- ⁸ - محمد عبد المنعم الحميري، روض المعطار في خبر الأقطار، تح: إحسان عباس، ط02، مكتبة لبنان، بيروت، 1984، ص: 135.
- ⁹ -أبي عبيد الله البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د. ت، ص- ص: 76-77.
- ¹⁰ - محمد عبد المنعم الحميري، مصدر سابق، ص: 135.
- ¹¹ - مارمول كريخال، ج2، المصدر نفسه، ص: 298.
- ¹² - يحي بوعزيز، مدينة تلمسان عاصمة المغرب الأوسط، مرجع سابق، ص:20.
- ¹³ - المرجع نفسه، ص:20.
- ¹⁴ - محمد عبد المنعم الحميري، مصدر سابق، ص: 135.
- ¹⁵ -ابن الأحمر، تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان، تقديم وتحقيق وتعليق: هاني سلامة، ط1، الناشر مكتبة الثقافة الدينية، 2001، ص: 09.
- ¹⁶ - ابن الأحمر، مصدر سابق، ص: 09.
- ¹⁷ - محمد بن عمرو الطمار، مرجع سابق، ص: 86.
- ¹⁸ - محمد بن أحمد أبي راس الناصر، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، تقديم وتحقيق: محمد غانم، ج:01، منشورات CRASC (مركز البحث الأنثروبولوجية والاجتماعية والثقافية)، وهران، الجزائر، 2005ص:109.
- ¹⁹ -حسن بن محمد الوزان الفاسي، وصف إفريقيا، تر: مجمد حجي ومحمد الأخضر، ج1، ط2، دار الغرب الإسلامي للنشر، لبنان، 1983، مصدر سابق، ص- ص: 17-18.
- ²⁰ - محمد بن رمضان شاوش، المرجع نفسه، ص: 81 .
- ²¹ - حسن بن محمد الوزان الفاسي، مصدر سابق، ص: 18.
- ²² - محمد بن رمضان شاوش، مرجع سابق، ص: 89 .
- ²³ - حسن محمد بن الوزان الفاسي، المصدر نفسه، ص: 19 .
- ²⁴ - محمد بن أحمد أبي راس الناصر، مصدر سابق، ص: 110 .

- ²⁵ - محمد عيسى الحريري، تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني، دار القلم للنشر والتوزيع، الكويت، 1987، ص: 03 .
- ²⁶ - بن عودة مزارى، طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر، تح: يحي بوعزيز، ج01، ط01، دار الغرب الإسلامي للنشر، لبنان، 1990، ص: 169 .
- ²⁷ - محمد عيسى الحريري، مرجع سابق، ص- ص: 06-07 .
- ²⁸ - يسي كذلك أبو الحسن وهو السلطان علي بن أبي عثمان بن يعقوب بن عبد الحق المشهور بابن محيو بن أبي بكر حمامة بن ورزين بن فقوسين كرماط بن مرين، ينظر محمد بن أحمد أبي راس الناصر، مصدر سابق، ص: 116.
- ²⁹ - بن عودة مزارى، مصدر سابق، ص- ص: 171-172 .
- ³⁰ - يحي بوعزيز، مرجع سابق، ص- ص: 46-47 .
- ³¹ - Général construction S.A.R.L, Etude de Restauration du Site de Mansourah, Premier Etape : « Connaissance de l'état de fait », Juin 1998, p : 23.
- ³² - يحي بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر، ج1، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د.ت، ص 217 .
- ³³ - Georges Marçais, l'Architecture Musulman d'Occident, Presse Universitaire, Paris, 1955, p : 273.
- ³⁴ - CH . Brosselard , « les inscription Arabe de Tlemcen », Revue Africaine, N°3, O.P.U Alger, 1958-1959, p : 335 .
- ³⁵ - محمد بن رمضان شاوش، مرجع سابق، ص 270.
- ³⁶ - ويليام ملرسي وجورج مارسي، تراث تلمسان المعماري في القرون الوسطى، تر: سعيد دحماني، مؤسسة الرجاء للطباعة والنشر، قسنطينة، الجزائر، 2012، ص: 194.
- ³⁷ - A.T.A.R. Etude de Restauration de la composante Nord de sidi Boumediene, Phase I, la Direction de la culture de Tlemcen, novembre 1996, p : 18.
- ³⁸ - Albert Ballou, « L'Art Musulmane en Algérie », Revue Africaine, T 48, O.P.U, Alger, 1904, P 181.
- ³⁹ - A.T.A.R. Etude de Restauration de la composante Nord de sidi Boumediene, Phase 2 « Analyse et Diagnostic », la Direction de la culture de Tlemcen, Décembre 1997, P 07.
- ⁴⁰ - George Marçais, l'architecture Musulman d'Occident, Presse Universitaire, Paris, 1955, P 311.
- ⁴¹ - يحي بوعزيز، المساجد العتيقة في الغرب الجزائري، مرجع سابق، ص : 130.
- ⁴² - Rachid Bouruiba, l'Art Religieux Musulmans en Algérie, 2 éme Edition, S.N.E.D, Alger, 1983, p-p : 250-251.
- ⁴³ - يحي بوعزيز، المساجد العتيقة في الغرب الجزائري، مرجع سابق، ص: 131.
- ⁴⁴ - Rachid Bouruiba, Ibid, p : 251.
- ⁴⁵ - يحي بوعزيز، المساجد العتيقة في الغرب الجزائري، المرجع نفسه، ص: 131.
- ⁴⁶ - (taree5com.com)
- ⁴⁷ - فن الزخرفة والعمارة عند المرينيين (bohotti.blogspot.com)

⁴⁸-فن الزخرفة والعمارة عند المرينيين (bohotti.blogspot.com)

⁴⁹- عبد المالك موساوي، فن الزخرفة في العمارة الإسلامية بتلمسان، ط 1، دار السبيل، الجزائر، 2011، ص: 221.

9. قائمة المصادر والمراجع :

أولا الكتب العربية القديمة:

- أبي عبيد الله البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د.ت.
- بن عودة مزارى، طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن
- محمد بن أحمد أبي راس الناصر، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، تقديم وتحقيق: محمد غانم، ج: 01، منشورات CRASC (مركز البحث الأنثروبولوجية والاجتماعية والثقافية)، وهران، الجزائر، 2005.
- محمد عبد المنعم الحميري، روض المعطار في خبر الأقطار، تح: إحسان عباس، ط02، مكتبة لبنان، بيروت، 1984.
- ابن الأحمر، تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان، تقديم وتحقيق وتعليق: هاني سلامة، ط1، الناشر مكتبة الثقافة الدينية، 2001.
- التاسع عشر، تح: يحي بوعزيز، ج01، ط01، دار الغرب الإسلامي للنشر، لبنان، 1990.
- حسن بن محمد الوزان الفاسي، وصف إفريقيا، ت: مجمد حجي ومحمد الأخضر، ج1، ط2، دار الغرب الإسلامي للنشر، لبنان، 1983.
- مرمول كربخال، إفريقيا، تر: محمد حجي وآخرون، ج2، دار المعرفة للنشر، الرباط، 1988.

ثانيا الكتب العربية الحديثة والمترجمة:

- محمد بن عمرو الطمار، تلمسان عبر العصور، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.
- يحي بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر، ج1، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د.ت.
- محمد بن رمضان شاوش، باقة السوسان في التعريف بحضارة تلمسان - عاصمة دولة بني زيان، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د.ت.

- محمد عيسى الحريري، تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني، دار القلم للنشر والتوزيع، الكويت، 1987.
- ويليام ملرسي وجورج مارسلي، تراث تلمسان المعماري في القرون الوسطى، تر: سعيد دحماني، مؤسسة الرجاء للطباعة والنشر، قسنطينة، الجزائر، 2012، ص: 194.
- يحي بوعزيز، مدينة تلمسان عاصمة المغرب الأوسط، ط02، دار البصائر للنشر والتوزيع، 2008.
- عبد المالك موساوي، فن الزخرفة في العمارة الإسلامية بتلمسان، ط 1، دار السبيل، الجزائر، 2011.

ثالثا المراجع باللغة الأجنبية:

- A.T.A.R. Etude de Restauration de la composante Nord de sidi Boumediene, Phase I, la Direction de la culture de Tlemcen, novembre 1996.
- A.T.A.R. Etude de Restauration de la composante Nord de sidi Boumediene, Phase 2 « Analyse et Diagnostic », la Direction de la culture de Tlemcen, Décembre 1997.
- Albert Ballou, « L'Art Musulmane en Algérie », Revue Africaine, T 48, O.P.U, Alger, 1904.
- Amar Dhina, Cites Musulman d'Orient et d'occident, E.N.A.L, 1986
- CH . Brosselard , « les inscription Arabe de Tlemcen », Revue Africaine, N°3, O.P.U Alger, 1958-1959.
- Général construction S.A.R.L, Etude de Restauration du Site de Mansourah, Premier Etape : « Connaissance de l'état de fait », Juin 1998.
- George Marçais, l'architecture Musulman d'Occident, Presse Universitaire, Paris, 1955.
- Rachid Bouruiba, l'Art Religieux Musulmans en Algérie, 2 éme Edition, S.N.E.D, Alger, 1983 .
- Georges Marçais, l'Architecture Musulman d'Occident, Presse Universitaire, Paris, 1955.

رابعا المواقع الشبكية

[- \(taree5com.com\)](http://taree5com.com)

فن الزخرفة والعمارة عند المرينيين(bohotti.blogspot.com)